في يافا الناصرة فانَّ الاهلين غرسوا فيها مؤخرًا ٣٥٠٠ زيتونة ومن ٥٠٠ الى ٦٠٠ تينة ومثلها التفاح و ١٠٠٠ شجرة لوز و ٣٠٠٠ كرمة ولا شك ان الصهيونية مع ما تُلحقهُ من الاضرار بصالح فلسطين سوف تفيد بعض الافادة لما يبديهِ الفلاح الالماني او البولوني من النشاط في زراعة الاراضي التي حلَّ فيها فيتعلَّم الفلاح الوطني من اليهودي الاجنبي ويأخذ عنهُ همتهُ واساليبهُ فيعيد لهذه البلاد خصبها القديم ان شاء الله

ان المسافر اذا خرج من يافا الناصرة قاصدًا الى حيفا يجد على شمالهِ قريةً يحالفها قطعةً من بلاد الفرنج أُلقيت في طرف مرج ابن عامر الشمالي وهي مستعمرة «معلول» اليهودية ابتاعها الصهيونيون من آل سرسق ووزَّعوها على فلاحيهم فاخذ هؤلاء يستثمرونها فكلَّل النجاح سعيهم هناك املاك واسعة على طرف الطريق غُرست فيها اشجار الاوكالبتوس فنمت وارتفعت بسرعة مدهشة وصارت حمايةً للحقول التي وراءها المزروعة باتقان وترتيب . هناك ايضاً صفوف بيوت بُنيت حديثاً تضحك للشمس استقبلتُها الحمراء بين الرياض الخضراء . يا ليت فلاحنا يرى ويتعلَّم فيصلح احوالهُ

(التتمَّة امدد آخر)

رسالة

البطريرك ميخائيل جروه السرياني

في

اثبات عقيدة المطهر

هذه الرسالة الفريدة كتبها في دير الشرفة المالك الرحمات البطريرك ميخائيل جروه في غزَّة القرن التاسع عشر بعد ارتدادهِ عن اليعقوبيَّة وأثبت بها حقيقة المطهر من النفس السرياني ومن اقوال الآباء والكتب المقدَّسة . وقد عثر على نسخة منها خطيَّة حضرة النفس باسيل بشوري السرياني البغدادي فاعاد فيها النظر وعُني بتنقيحها وارسلها الى مجلة المشرق . فنشرها بنسبة تذكار

الموتى الواقع في ثاني يوم من هذا الشهر المبارك

نستمطر عليكم ايها الابناء الاعزاء البركات السماوية ونستمدّ من الله لكم الخيرات الروحية والزمنية ونسأله تعالى يحفظكم ووقايتكم

امّا بعد فلمّا كان الله جلّ سبحانهُ قد هدانا الصراط المستقيم ودعانا لرعاية نفوسكم العزيزة المفتداة بدم الحمل الالهي اقتضى علينا من باب الذمّة ان نورد نفوسكم العطشى حياض التعاليم الصافية التي تعلمها كنيسة المسيح الجامعة الرسولية . واول حقيقة نثبتها لكم من طقس كنيستنا السريانية وآبائها وملافنتها وكتبها هي حقيقة المطهر الذي يعبّر عنهُ في السريانية بلفظة شيول (ܫܝܘܠ) وبناء عليهِ نقول :

من المقرر المثبوت بالايمان انهُ يوجد ما عدا السماء مقرّ الابرار وجهنم سجن الاشرار محلّ ثالث تسكنهُ انفس صالحة وتقاسي فيهِ عذابات شديدة لكي توفي للعدل الالهي ما عليها من القصاصات الزمنية وهذا المحلّ ندعوه مطهرًا لان النفس تتطهر فيهِ من صدأ نقائصها كما يطهّر الذهب بالكور . ومن المستحيل ان تعرّج نفس الى السعادة وهي ملتطخة باوساخ نقائصها مهما كانت خفيفةً كما يوضحه لنا الوحي بلسان يوحنا في سفر الجليان (٢١ : ٢٧) لا يدخلها شيءٌ نجس . وبفم النبي داود (في المزمور ٢٣ : ٤) عند كلامهِ عن ابدية الابرار التي لا ينالها : الا طاهر اليدين ونقيّ القلب

فمن هذه الاقوال الالهية يلزمنا القول ان النفس من بعد الموت مكاناً ثالثاً وهذا المكان سواء دعوناه مطهرًا ام سميناه يبوساً وهاوية فالمعنى واحد من حيث الاعتقاد . وفضلًا عن ذلك تؤيد لنا وجود هذا المحلّ القرابين الالهية المقدّمة على المذابح في الكنائس والصلوات من اجل النفس الموتى فهذه لا تقصد الكنيسة بها اسعاف النفوس الموجودة في جهنم النار لان دودهم لا يموت ونارهم لا تنطفئ وكل مساعدة مبذولة لاجلها تعود باطلة وعديمة النفع . ولا تتحرّى كذلك اسعاف الذين ظفروا بالسعادة الخالدة لانهم حاصلون على كمال الغبطة والراحة الابدية بل الاحرى بنا ان نقول اننا في حاجة دائمة الى استمداد شفاعتهم بنا انهم المقربون الى عرشهِ تعالى . واذا ما عثرتم بالفاظ في سياق صلواتنا السريانية تشير الى غفران او راحة فهذه لا يمكنكم حملها الّا على الانفس المتعذبة في المطهر ولا تطرقنا الى تخطئة كلام الروح

القدس القائل بلسان صاحب الجليان: (لا يدخلها شيء نجس) وحاشانا من هذا الكفر الشنيع فيلزمنا القول اذن ان القرابين والصلوات المذكورة تقدَّم من اجل اسعاف الانفس المطهرية

١ شواهد طقسيّة في حقيقة المطهر

نضرب من ثمَّ صفحاً عن ذكر شهادة الكنائس قاطبةً وحسبنا ان نورد لكم اقوال كنيستنا السريانية التي تعدَّدت في كتبها الطقسية بهذا الصدد فمن ذلك (اولاً) ان كنيستنا تترنَّم مساء كل احد وعيد وتذكار ممتاز بعد صلاة المطر بما تعريبهُ: « ان ماء الحيوة الذي ارسل من الآب ونضح الفتية الثلثة داخل اتون بابل هو نفسه ينضح الاموات في مخادع الجحيم المظلمة ويغفر نقائص عبيده الذين رقدوا على رجائهِ ويورثهم الملكوت الذي لا يزول ولا يحول »

ألا امعنوا النظر يا ايها الابناء الاحباء بهذه الالفاظ: « ويغفر نقائص عبيده » فمنها تستنتجون ان النفس من بعد الموت تحتاج الى غفران نقائصها وهذا الغفران لا نجده في السماء لانه محلّ الانقياء ولا في جهنم لانه محل العذاب الابدي فاذن المراد بمخادع الجحيم المعدَّة لها عن المحل الثالث وهو الذي ندعوه المطهر

(ثانياً) وقد ورد في جملة الصلوات التي نقولها قول كنيستنا معرَّباً: « المجد لذلك الكلام الذي قاله ربنا في بشارته ان كلّ من يأكل جسدي ويشرب دمي الحيّ لا اتركهُ بالهاوية لاني لاجله تنازلت وذقت الموت لكي يحيا الى الابد » فتأملوا يا رعاكم الله بعبارته: « لا اتركهُ في الهاوية » والهاوية هنا هي تعريب شيول (ܫܐܘܠ) السريانية التي لا يمكننا حملها في هذا الكلام على جهنم كما سبق القول اذ لا مناص للنفس الهالكة فيها فاذن يجب الاقرار صريحاً ان المراد بها هنا محلّ المطهر

(ثالثاً) ترتل كنيستنا في القرمة الثالثة من ليلة الاربعاء البيت الآتي الذي هذا تعريبهُ: « طوبى للذي يتقدَّمُ الاحياء من اجلهِ القرابين حتى يكتتب اسمهُ في علوّ السماء لانهُ ان كان موسى قد رسم اسماء الاسباط بالواح الحجر حتى يستمرّ ذكرها امام الله ثابتاً فكم يجب عليكم ان ترسموا بالمائدة المملوة حياةً اسماء اموانكم حتى اذا ذكروا في البيعة هنا يُكتبون في علاء السماء ايضاً ويتنعمون مع المسيح عند

مجيئه» . . فمن هذا الكلام نُقيم الحجة لتأييد ما نحن بصدده ونقول: ان كان الاموات لا يحصلون على جدوى من القرابين المقدَّمة لاجلهم فعلامَ تطوّبهم الكنيسة وتوجّه اليهم هذا الاسعاف ؟ بل ما هي الغاية من حضّها المؤمنين بتقديم القرابين عن انفس موتاهم ان كان لا يحصل منها فائدة لها ؟ أفلا والحالة هذه يسوغ لنا اذ ذاك ان ننسب اليها كلاماً تنزّهت به عن غير معنى ؟ ومن منكم تحملهُ الجراءة ان يشين كنيستنا بنسبة كهذه يضحك منها الجهول؟ فيازمنا القول اذن ان القرابين والصلوات التي نقدّمها لاجل اخوتنا لها فائدة عظمى وفاعلية كبرى لاسعافهم في النيران المطهرية . ولعلَّ معترضاً منكم يذهب الى القول: اذن يُستنتَج من كلام الكنيسة الآنف الذكر ان الانفس لا تلج سعادة الابرار حتى مجيء المسيح يوم القيامة تبعاً لكلامها: «ويتنعمون مع المسيح عند مجيئه» . وعليه نجيب ان كنيستنا تعتقد بخلاص النفس التي تغادر الجسد بحال النعمة حالاً بعد وفائها ما عليها للعدل الالهي من القصاصات الزمنية في المطهر وهذا يؤيده كلامها الذي اوردناهُ « ويغفر نقائص عبيده الذين رقدوا الخ» . فاذن يجب ان نحمل كلام الكنيسة «ويتنعمون مع المسيح عند مجيئه» على اشارتها الى قيامة الاجساد عند مجيء المسيح الثاني حين تتنعم الانفس الصالحة باتحادها مع اجسادها

(رابعاً) قد جاء مسطوراً في نافورة القداس الالهي الكلام التالي المأخوذ من اقوال القديس افرام السرياني الذي يتلوه الكاهن بعد تشيشت الامرات : «ان كان موسى قد منح الحية بدم الحيوانات لروبيل الذي اخطأ (تث ٣٣: ٦) فكم بالاحرى يُغفر للموتى المؤمنين بواسطة الذبيحة الحيَّة التي تُذبح من اجلهم » . فهوذا الكنيسة تعلّمنا بلسان احد قديسيها العظام هذه الحقيقة وترشدنا الى الاعتقاد بفاعلية الذبيحة التي بواسطتها تتنصل النفوس من عذاب المطهر الزمني . فايُّ ريب عاد يخامركم من جهة الاعتقاد بحقيقة المطهر ؟ فان كان لذبيحة الحيوانات في العهد القديم هذه الفاعلية لغفران الذنوب فكم تكون الافضلية اعظم لفاعلية الذبيحة الالهية في العهد الجديد فضلاً عن ان تلك ما كانت الا رمزاً للحقيقة ؟

(خامساً) اننا نتلو في فرضنا صباح الثلاثاء بيتاً هذا تعريبهُ : « على جسر النار يجوز الصدّيقون من محلّ الخوف الى الموضع المملوّ حياةً حيث يفرح ابراهيم واسحق

ويعقوب الصدّيقون متنعمين» . ففي هذا الكلام الدلالة صريحة على وجود المطهر . فالجسر الناري المعبّر به عن المطهر لا يصدق القول به عن جهنم لان المعذبين فيها لا يستطيعون الاجتياز منها الى محل الحياة حيث يتنعم ابراهيم واسحق ويعقوب الصديقون . وهذا ما تؤيده لنا قصّة الغني في الانجيل الطاهر الذي طلب من ابراهيم أن يرسل لعازر اليه . فكان لهُ جواب ابراهيم : « ان بيننا وبينكم هوّة عظيمة » (لوقا ١٦ : ٢٦) فالمراد اذن بجسر النار المطهر الذي تجتازه انفس الصديقين لكي تتطهر من ادران نقائصها قبل فوزها بالسعادة الخالدة

(سادساً) نصلي في فرضنا السرياني مساء الاثنين هذا البيت معرّباً : «ليكن لنا جسدُك الذي تناولناه ودمُك الحي الذي شربناه جسرًا ومجازًا لكي بهما ننجو من النار ومن جهنم . ان من امعن النظر في هذا الكلام رأى ان كنيستنا قد ميّزت محلّين مختلفين بقولها : لكي بهما ننجو من النار ومن جهنم . فقصدت بلفظة النار الاشارة الى المطهر وبكلمة جهنم الدلالة على حبس الهالكين

(سابعاً) نتلو في فرضنا ايضاً في القومة الثالثة من ليلة الاثنين ما تعريبهُ وهو : «ليس ليلٌ الّا وذكرتُك فيه على مضجعي وفي الليالي هدأتُ بسك لانك مخوفٌ . سمعت صوت دانيال يقول : نهر النار يجري من امامك فيا ويلي اني جائز به وذنوبي كثيرة فان لم تشفع فيّ لدنك نعمتُك فلتُحطني مراحمك واشفق عليّ برحمتك » . فلا ريب ان المراد هنا بنهر النار الدلالة على المطهر الذي به تجوز النفس وهي ترتاع من عذاباته نظرًا لكثرة نقائصها فتستغيث من ثمّ برحمة مولاها الكريم لكي تفوز بنجاتها في السريع العاجل

(ثامناً) ترتل الكنيسة في الجنّاز الترنيمة التالية على لسان النفس المنتقلة فنرويها معرّبةً : « ان النفس تقول : قدّموا عوضي قرابين لانهُ لا يوجد شيء مفيدٌ لي كجسد الربّ . فلا يفيدني شيئاً البكاء والتنهُّدات بل انما يفيدني جسد المسيح . وانتم يا ايها الكهنة اذا ما قمتم للصلوة فصلّوا من اجلي . لكي انطلق واكون مقبولًا إمام منبر المسيح »

ألا انظروا من ثمّ قوّة الاسعافات المقدمة لأجل الانفس المتعذبة في سجن المطهر وتأملوا باستصراخ النفس وهي في عذاب النيران تستمدّ صلوات الكهنة وتقدمة

الذبيحة الالهية لاجلها لتكون لها معراجاً يرقيها الى سعادتها عاجلاً فلم تطلب البكاء والتنهدات لراحتها لان ذلك لا يجديها نفعاً كما تفيدها تقدمة القرابين اعني القداديس الالهية. أفلا ترون هذه الاقوال كأنها تنبئ بحاجة النفس الى التطهير من ادرانها. والحال ان هذا التطهير لا تجدهُ في جهنَّم بالوعة الفساد والاوحام فضلاً عن انقطاع كل امل من نيل الاسعاف فيها فيلزمكم الاقرار اذن بوجود محلّ ثالث وهو الذي يُدعى مطهراً

هذا وما اكثر المواضع في صلوات كنيستنا السريانية الطقسية التي تشير الى وجود المطهر وحاجة النفس المسجونة به الى الصلوات والقرابين فنضرب صفحاً عن ذكرها ونكتفي من ثمّ لاجل اقتناعكم ان نسرد ما جاء مسطراً في الفصل الثالث والباب السادس من كتاب الحاوي المقبولة نصوصهُ في كنيستنا السريانية اذ قال في سياق كلامه على تطهير النفس:

«اذا ما فاجأ الموت انساناً على حين غفلة وكانت خطاياه عرضيَّةً تُنسَب الى نقص الطبيعة وضعفها فهذه العرَضيات وان كانت تنجّس النفس فيمكن التطهّر منها بواسطة الصلوات والصدقات وتقدمة القرابين وسائر الاعمال الخيريّة المصروفة لاجلها. وكلَّما تكرَّرت هذه الاعمال تدرَّجت النفس في التطهير وانتقلت من الاوجاع الى الصحة بمقتضى استحقاقها وتخلَّصت من التربيح (هي لفظة عامية يراد بها السجن) وعليهِ فقد رسمت الكنيسة وحثت باستمرار ذكر الاموات على المذابح بالصلوات وتقدمة القرابين»

وبعد كلام سهب ذكر الكتاب المشار اليهِ في الفصل المذكور مشبّهاً الهالكين برجُل الانجيل الذي دخل بيت العرس وليس عليهِ لباس العرس فطُرح في الظلمة خارجاً وقال: ان هذا الرجل هو صورة النفس الهالكة التي لا تنتفع من الاعمال الخيرية. ثم اردف كلامهُ وقال: اما الذي يدخل بيت العرس وعليهِ الثياب المثوبة بالاوساخ غير اللائقة بالعرس فان مثل هذا الرجل هو صورة النفس الحاملة نقائصها فيتحتَّم عليها غسلها بزوفى التطهير حتى تعود نقيةً واهلاً للجلوس بقرب الختن السماوي

٣ شواهد الكتب المقدَّسة على حقيقة المطهر

ثمَّ نثبت لكم هذه الحقيقة من الكتاب المقدَّس فنقول: ان السيد المسيح بقولهِ في انجيل متى (١٢: ١٠): «كل من يقول كلمةً في ابن الانسان يُغفر لهُ ومن يجدّف

على روح القدس لا يغفر لهُ لا في هذا الدهر ولا في الآتي » . اراد ان يوضح جلياً ان لبعض الخطايا مغفرةً في العالم الآتي . والحال ان لا مغفرة للذين في جهنم . فاذن يجب القول ان المغفرة هي للذين في سجن المطهر في الاخرى . وشرح هذه الايات بهذا المعنى القديسان اوغسطينوس وغريغوريوس . ويؤيد لنا ذلك بأجلى بيان كلام القديس اوغسطينوس في تفنيده زعم يوليانوس القائل بان : «لا غفران للخطيئة من بعد الموت» فقال اوغسطينوس : فان لم يكن غفران للخطيئة من بعد الموت فاذا حمل السيد المسيح الى أن يقول : والمجدف على روح القدس لا تُغفر خطيئتهُ لا في هذا العالم ولا في العالم الآخر » .

وقال القديس بولس في رسالتهِ الاولى الى قورنتس (٣ : ١١—١٥) : «انه لا يقدر احدٌ ان يضع اساساً آخر سوى هذا الموضوع الذي هو يسوع المسيح . وان بنى احد على هذا الاساس ذهباً او فضّة او حجارة كريمة او خشباً او حشيشاً او قشاً فسيُعلَن عملُ كل واحدٍ . لان يوم الرب سيظهرهُ لانه بالنار سيُعلَن عملُ كل انسان كيف هو فالنار تمتحنهُ » . ان مراد القديس بولس بهذا الكلام ان اعمال النفس المنتقلة سوف تتنقّى بالنار وبعد تطهيرها تفوز بسعادتها والحال ان هذه النار لا تصدق على نار جهنّم فاذن هي نار المطهر

وجاء في سفر المقابيين الثاني (١٢ : ٤٣—٤٦) ما يؤيد هذه الحقيقة باجلى بيان اذ قيل : « انهُ جمعَ الصدقة وارسل الى اورشليم الفي درهم من الفضّة ليقدّم عن خطايا الموتى ذبيحة لانه مقدّسٌ وصالح الفكر ان نصلي على الموتى لكي ينجوا من الخطايا » . فينتج من هذا الكلام الالهي ان للموتى غفراناً في العالم الآخر يفوزون به بواسطة اسعافات الصدقة والصلوات والاعمال الخيرية المصروفة لاجلهم وهذا كان اعتقاد المقابيين قاطبةً وبني اسرائيل ايضاً لان يهوذا المقابي كان من نسل الكهنة وكان يعمل بموجب سنّة سلفائهِ الاحبار

ويؤيد الحقيقة التي نحن بصددها ما فعله اهل يابيش جلعاد اذ صاموا سبعة ايام لاجل الملك شاول وبنيهِ الذين قُتلوا في حرب الفلسطينيين (سفر الملوك الاول ٣١ : ١٣) . وما عمله داود اذ صام وناح باكياً هو ورجاله على يوناثان ابنه الذي قُتل في حرب الفلسطينيين (٢ ملوك ١ : ١٢) . وما كان في قلوب الرجال الابرار من الرغبة والشوق

لدفن اموانهم في ارض الميعاد حيث كانت تقدَّم لاجلهم القرابين والصلوات والصدقات . فهذه الاعمال الخيرية كلها تشير الى حاجة النفس الى الاسعاف من بعد الموت

ولنا في آيات اخرى من الكتاب الكريم ما يشير الى هذه الحقيقة قال الملك والنبي داود في ضراعته الى الله سبحانه (المزمور ٦ : ٢) : « يا رب لا بغضبك توبخني ولا برجزك تؤدبني » . فشرح القديس اوغسطينوس هذه الآية قائلاً : ان مراد النبي بهذا القول الموحى طلبتُهُ النجاة من جهنم وعذاب المطهر فكأنه يقول : يا رب لا بغضبك توبخني في نار جهنم ولا برجزك تؤدبني في نار المطهر . وقال هذا النبي في محلّ آخر من زبوره (٦٥ : ١٠ — ١٢) : « لانك ابتليتَنا يا الله راحميتنا كما تُحمى الفضّة . أدخلتَنا في الفخّ وجعلت الاحزان فوق ظهورنا ورفعت الناس على رؤوسنا . جزنا في الماء والنار واخرجتنا الى الراحة » . فيراد بالماء من كلام النبي الاشارة الى المعمودية وبالنار الدلالة على عذابات المطهر . وزيدوا على ذلك قول طوبيا لابنه ساعة مماته (٤ : ١٨) : « ضَعْ خبزك وخمرك على مدفن البار . ولا تشرب منهُ مع الخطأة » كأنه يقول : اصنع وليمة وادعُ الفقراء ليأكلوا ويشربوا تذكاراً للموتى الذين ينتقلون بنعمة الله من هذه الحياة . واردف قائلاً : « ليصلّوا من اجل الموتى ويدعوا لهم بالرحمة »[1] . فان لم يوجد محلّ تتطهر فيه النفس فعلامَ تطق روح القدس بلسان طوبيا البارّ وامر بالصلاة من اجل الاموات وباستجلاب الرحمة عليهم من قبل ابي المراحم أفهل يعود كلامهُ جزافاً فحاشا ان تعتقد كنيستنا السريانية بحقائق تجحف بعقيدة الايمان الكاثوليكي . ونقرأ في نبوة اشعيا ما يزيد وضوحنا ايضاحاً اذ قال (٤ : ٤) : « ان الرب يغسل قذر بنات صهيون ويمحو الدماء من وسط اورشليم بروح العدل وروح التوقّد » . فما هو يا ترى هذا الغسل سوى تطهير النفس من جرائرها « بنار المطهر » كما شرح ذلك القديس اوغسطينوس . وقال ملاخيا النبي في نبوته (٣ : ٤ — ٣) : « لانه مثل نار الصانع ومثل عشب القصّار يجلس ويصوغ منقّياً الفضة وينقّي بني لاوي ويسبكهم بالذهب والفضة » . لمن المحقّق ان كلام النبي لا يصدق في هذه النبوّة على الذين هم في الحياة لانه لا يوجد تنقية في هذه الحياة بين الاشرار والصالحين . وكذلك يُقال الامر عن

١) لم نجد هذه الآية في سفر طوبيا الّا في الترجمة السريانيّة (١٢ : ١٢)

الذين في جهنم لانه لا تنقية هناك للهالكين وليس اهل الوطن السماوي في حاجة الى تطهير لانهم انقياء . فاذا يجب القول ان هذه التنقية والسبك كالذهب والفضة لا تشير الّا الى الانفس التي تتنقّى في النيران المطهرية من ادرانها وتخرج بعدئذٍ خالصةً كالذهب الابريز .

٣ شواهد للآباء القدّيسين في حقيقة المطهر

ثمّ نثبتُ لكم حقيقة المطهر من اقوال الآباء والمعلّمين . قال القديس غريغوريوس الثاولوغوس : « ان النفس من بعد مفارقتها الجسد معمودية ثانية تسمّى معمودية النار شديدة التطهير تأكل نارُها المادّةَ كما تأكل العشب » . فمن لا يسلّم منكم بانّ مراد القديس بهذه الالفاظ هو عن حقيقة المطهر لانه لا يمكننا حملها على نيران جهنّم حيث تمتلئ النفس ظلاماً ولا سبيل لها للخلاص منها

وبهذا المعنى قد تكلّم الثاولوغوس موسى الحجري مطران الموصل في كتابه المسمّى « تفسير اسرار البيعة السبعة » اذ قال في سياق كلامه في مقالة المعمودية : المعموديات ثلاثية فاراد بهذه المعموديات اسرار البيعة السبعة مضيفاً اليها معمودية النار التي تطهّر النفس في المطهر

وقد كرّر هذا القول عن المعموديّات الثلاث غريغوريوس العبري في الفصل الثالث من كتاب منارة الاقداس . وذكر هذا المؤلف نفسه معموديّة النار في كتابه المسمّى اتيقون في الفصل الثامن والباب الثالث عن المعمودية قائلاً : « كما ان اسرار البيعة السبعة المعبّر عنها بمعموديات تنقّي النفس من اوزارها فيلزمنا القول كذلك ان معمودية النار تطهّرها ايضاً من اوساخها » . والحال ان معمودية كهذه لا يمكن وجودها في جهنّم النار كما سبق القول فاذن مراد هذا المعلم بمعمودية النار الاشارة الى المطهر

وقال القديس ديونوسيوس تلميذ القديس بولس الرسول في كتابه الجزء الثالث (ص٧) : « فليصنع الكاهن الموقر صلوةً مقدسة على الميت وليتوسل الى الله الحنون الرؤوف حتى يترك لهُ جميع خطاياه الصادرة منه بسبب الضعف البشري ويقيمهُ ويوقفه بالنور في مكان الاحرار » . وقال القديس اثناسيوس سائلاً هكذا : « هل

تحسّ انفس الموتى بالفائدة التي تحصل لها من صلوات المؤمنين الاحياء» فيجيب : «اي نعم تشعر بذلك من كلّ الوجوه» . والقديس اقليمس تلميذ القديس بطرس الرسول قد ألّف صلوةً تتلى لاجل الموتى في كتابه المعروف بكتاب المراسيم القسم الثامن (ف ٤٢) . وكذلك القديس باسيليوس المعظّم ألّف صلوةً لاجل الموتى ورسمها في نافورته . وقال القديس غريغوريوس النزينزي في اواخر اليسر الذي كان ألّفهُ لاجل احد اصحابه المتوفى بالربّ : «لنصلي ونبتهل للرب الاله من اجل انفسنا وانفس الذين انتقلوا من هذه الحيوة ووصلوا الى المنزل»

وقال القديس افرام السرياني في ميمره الثالث مؤيّدًا ما نحن بصدده : «ألا تخطر ببالك تلك النار التي ستعبر جميعنا فيها . اي نعم اننا اذا ما جزنا في تلك النار سنصبح انقياء بلا معاب ونعرف حينئذٍ ذواتنا مَن نحن لان ذلك اليوم سيُعلن عمل كلّ احدٍ كما جاء مكتوباً : انه بالنار يُختبرَ» . وقال ايضاً هذا القديس في وصيته الاخيرة : «اذكروني يا اخوتي دائماً بصلواتكم لاني قضيتُ حياتي بالباطل وبفعل الاثم»

وشرح القديس غريغوريوس كلام الرسول الى اهل قورنتس الذي مرّ ذكره وهو : ان بنى احد على هذا الاساس الخ . فقال : «ان كلام الرسول بهذه الآية لا يصدق الّا على محلّ المطهر» واستشهد ما اورده الاب تيكُن صاحب كتاب الحاوي في المقالة الثانية والخمسين تأييداً لزعمه . فقال صاحب الكتاب المذكور : «سأل ذات مرة بطرسُ معلمَهُ غريغوريوس قائلًا : أتسألك ان تعرّفني هل يوجد وراء هذه الحيوة نار منطفئة ؟ وان كان لذلك صحّة عرّفني بها . فاجابه القديس غريغوريوس : اعلم يا بطرس ان الانسان بالحالة التي بها يبرح هذا العالم فيها نفسها يقوم يوم الدينونة . وفضلًا عن ذلك يجب ان نؤمن بوجود نار منطفئة قبل الدينونة وهذه النار تشعلها الخطايا الخفيفة نظير كلمة بطالة او ضحك كثير او قلة احتفال الانسان باعماله او اهماله العناية بالبحث عن نقائص اهله او خدمه . فمثل هذه الخطايا وان كانت بذاتها خفيفة فتوجد ثقيلة بعد الموت نظراً لقصاصها والوفاء عنها . ما لم يكفّر عنها الانسان وهو في هذه الدنيا فحينئذٍ يؤنّس جيّدًا حسب قول الرسول : ومَن بنى على هذا الاساس ذهباً او فضة او حجارة كريمة الخ

وسُئل القديس غريغوريوس ذات مرة: اي خطايا تُغفَر للانسان الخارج من هذا العالم بالموت بواسطة الصلوات والصدقات والقداسات؟ فاجاب مضمناً كلام القديس ديونوسيوس الكبير: ان كانت خطايا المَيت خفيفة وعرضية وجدت نفسه نفعاً عظيماً بما يصرف لاجلها من الاعمال المبرورة. وان كانت باهظة ثقيلة فقد أغلقت ابواب الاسعاف بوجهه. ثم اضاف القديس قائلاً: فالواجب علينا اذن ان نسعى جهدنا ونهتمّ بنفوسنا ما دمنا احياء ولا نعتمد على ما يُعمل من بعد وفاتنا من قداسات وصدقات الخ. وروى اوسابيوس المؤرخ في سياق كلامه عن حياة الملك قسطنطين: ان هذا الملك طلب ان يُدفن في الهيكل المشهور لكي يشترك في الصلوات التي تُتلى هنالك

والقديس ابيفانيوس في كتابه الذي ألّفه ضدّ البدع والهرطقات قد فصّل الصلوات التي يجب تلاوتها لاجل النفس الموتى. وقد حرم هذا القديس آريوس واعتبره هرطوقيًا لكونه انكر الصلوات وجحدها. والقديس باسيليوس الكبير قد أيد في مواضع شتى من تآليفه حقيقة وجود النيران المطهرة بعد هذه الحياة لاسيما في شرحه كلام اشعيا النبي القائل: ان الربّ يغسل دنس بنات صهيون ويمحو الدماء من اورشليم بروح الحكم وبروح الاحتراق. فقال ان روح الاحتراق سيكون بنار الاختبار المطهرة. والقديس غريغوريوس نيصص عنّف الذين ينوحون على اموالهم في احد مياسره عن الامرات. ومثلهُ عمل القديس غريغوريوس الثاولوغوس في احدى خطبه لعيد الخنطقسطي اذ قرّع الذين يتشبثون بالبكاء على الميت ويعرضون عن اسعافه باعمال مبرورة. وقال المعلم تاودوريطس الشهير مؤيد حقيقة المطهر في شرحه رسالة بولس الرسول الاولى الى تورنتس هكذا: نؤمن ان هذه النار التي تنقّي الانفس وتطهرها كما يطهّر الذهب بالكور هي النار المتطفئة

وقال القديس يوحنا فم الذهب في عظته الحادية والاربعين لدى شرحه رسالة بولس الرسول الاولى الى اهل قورنتس هكذا: لا نساعدنّ الميت بالدموع بل بالطلبات والتوسلات واعطاء الصدقات. ثم اردف كلامه قائلاً: لنسعَ جهدنا في اسعاف الموتى ولنقدم الطلبات لاجلهم. وقال ايضاً في عظته التاسعة والستين: لم يسنّ الرسل باطلاً وعن غير جدوى هذه الامور ليكون تذكار الاموات في تقدمة الاسرار المرغوبة لانهم احاطوا علماً بالمنفعة الخاصة لهم منها. والقديس ايسيدوروس البليوسيّ الدمياطي

تلميذ القديس يوحنا فم الذهب بعد ان ذكر كلام القديس غريغوريوس في رسالته الثالثة والخمسين من كتابه الاول اعترض على نفسه قائلاً : لعل معترضاً يقول ان المسيح لم يبرهن لنا في انجيله عن وجود مكان من بعد الموت سوى محلي السماء وجهنم . فيجيب ان المسيح لم يبرهن لنا في انجيله عن كل امر بتوضيح بل نراه تارة يدلُّ على شيء ظاهر بتصريح وطوراً على آخر بدلائل وتلويح . وقد دلَّنا على وجود مكان المطهر بقوله : كن موافقاً لخصمك ما دمت معه في الطريق . لئلا يسلمك الخصم الى الحاكم والحاكم يدفعك الى المستخرج . وتُلقى في السجن فالحق اقول لك انك لا تخرج من هناك حتى توفي آخر فلس عليك . والحال ان آية السيد المسيح في هذا الكلام لا تتناول الَّا الدلالة على محلّ المطهر لانهُ لا يمكننا حملها على جهنَّم من حيث سبق الكلام بان لا خلاص للهالكين منها

فاذن ينتج من جميع ما اوردناه من اقوال الكتاب المقدس واللافنة والمعلمين القديسين وجوب الاعتقاد بمحلّ ثالث ما عدا السماء وجهنم به تتطهر الانفس من ادران نقائصها وتوفي ما عليها للعدل الالهي قبل ولوجها جنة الابرار وهذا المحل ندعوه مطهراً . ثم يجب علينا الاعتقاد بان الانفس المطهرية تستفيد من الصلوات والحسنات والقداسات المخصَّصة لاجلها كما اتَّضح لكم ذلك من الاقوال السالفة

٤ اعتراضات الخصوم

الَّا اننا نرى كثيرين من المراطقة الذين يعترضون علينا بمثل الاعتراضات الآتية ونحن تعميماً للافادة رأينا من المناسب ان ندرجها في ذيل هذه الرسالة مع تفنيداتها باباً باباً فنقول : ﴿اعتراض اوَّل﴾ يعترض البعض قائلين : ان نيران المطهر مادية والجوهر المادي لا يؤثر بالجوهر البسيط اي النفس فاذن النيران المطهرية لا تعذب النفس

﴿والجواب ان يقال﴾ ان الجوهر المادي لا يؤثر بالبسيط من حيث طبعهِ فسلَّم امَّا بقدرة الله فتكر . هذا وان العلماء اللاهوتيين وآباء الكنيسة قد ذهبوا اجمع بان النيران المادية في المطهر لها فاعلية لتعذيب النفس بقوتها الطبيعية وذلك بقدرة الله تعالى . وليس في ذلك من امر غريب لاننا اذا تصفحنا الكتاب المقدس رأينا الله سبحانه في اوقات مختلفة قد اخترق نواميس الطبيعة مستخدماً اياها لتنفيذ مقاصده الالهية . فمن جملتها إبطاله قوَّة النار في اتون بابل اذ قصد حفظ الاطفال داخلها بلا

احتراق. ومنها قيامة المسيح من القبر حال كونه مختوماً بحجر كبير ودخوله على الرسل والابواب مغلقة الخ. فما لي اذكر عجائب الله لكم ولنا في الامور المختلفة نفسها امثلة تراها تفعل خلاف طبعها الوضعي. فمن ذلك الحديد ان من ذات هذا الجوهر الركوز في الاسفل ومع ذلك اذا ما علاه حجر المغناطيس اجتذبه الى العلو. فاذا وُجد في المخلوقات الطبيعيَّة خواصّ غريبة فلا عجب اذن لو احترقت النفس بنيران المطهر المادّيَّة بقدرة الله.

﴿اعتراض ثانٍ﴾ ربّ معترض يقول: ان القاضي يُعدّ ظالماً اذا قبض على مجرمين بذنب ما فعاقب احدهما وترك الآخر دون عقاب. والحال ان الله القاضي العادل يعاقب النفس بنار المطهر دون الجسد مع كونهما مشتركَيْن بالخطية فاذن لا صحّة لتطهير النفس

﴿الجواب ان يقال﴾ تميّز الكبرى: الحاكم يُعدّ ظالماً اذا ترك احد المشتركين بالذنب دون عقاب وكانَ كلاهما من طبيعة جوهر واحد مسلّم. اما خلاف ذلك فكر. والحال ان جوهر النفس وطبيعتها هي خلاف جوهر الجسد وطبعه فليس اذن اثر للجور. ونتكر الصغرى ايضاً اي القول بان النفس والجسد مشتركان بفعل الذنب على حدّ سواء. لانه من الواضح المعلوم ان النفس هي العلة الفعّالة لكلّ عمل يأتيه الجسد بواسطة قواها الارادية ولها ملْ السلطان عليه. وهذا مثبوت بالعمل اذ كلّ انسان يشعر بآلام الغضب والحدّة والميل الفاسد ويحسّ بارتياح الجسد الى انجازها الّا انهُ يشعر من جهة اخرى ان نفسه بقوّة ارادتها الحرّة تردعُ ذلك الارتياح حاكمةً عليه بحفظ شريعة الله فينتج من ثمّ ان الجسد ما هو الّا آلة لانجاز افعال الارادة التي هي احدى قوى النفس. ولزيادة الايضاح نقول على سبيل المثل: لو امتطى فارس صهوة جواده وجدّ في مواقعة عدوّه فادركه وانتصر عليه فلمن يُنسب هذا الانتصار؟ اليس للفارس؟ ونقول الامر بالعكس اعني لو خُذل وذُلّ واستحقّ غضب مولاه السلطان فمن يقع تحت طائلة اللوم ويؤاخذ بهذا الذلّ والخذلان أليس الفارس ايضاً لكونه هو العلّة الفعالة. فعلى هذا النسق يجب القول عن النفس فانها تُجزى بحسب اعمالها

١) قد فات غبطة المؤلف ان يستشهد بآية الانجيل الطاهر (متى ٢٥ : ٤١) وفيها يقول: «انّ النار الابديّة معدّة لابليس وملائكته» ومعلوم انّ ابليس وملائكتهُ كلهم ارواح بلاجسم. فان كانت النار تعذّب فبدهي ايضاً انها تستطيع ان تعذّب الانفس المطهرية

ان خيراً وان شراً وتنال ذلك على اثر مغادرتها الجسد . فلا يُعد اذن الله جل جلالهُ مخترقاً شريعة العدل لو عاقب النفس دون الجسد حتى يوم الدينونة الاخيرة بما انها علة للشر

﴿اعتراض ثالث﴾ لقد اثبتم وجود المطهر من آية متى الانجيلي (ص ٥ ع ٥) في قوله: «كن موافقاً لخصمك ما دمت معه في الطريق لئلا يسلمك الخصم الى الحاكم ويسلمك الحاكم الى المستخرج وتُلقى في السجن الحق اقول لك انك لا تخرج من هناك حتى توفي آخر فلس عليك». والحال ان هذه الالفاظ لا تدلّ على المطهر لان لفظة حتى في هذه الآية تعليليّة تدلّ على عدم النهاية اي على عذاب دائم . ويثبت ذلك قول الانجيلي عن يوسف ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر اعني ولم يعرفها حتى ولا بعد ولادتها . وقول الكتاب المقدّس عن غراب نوح: ولم يرجع اليه حتى يبست الارض والحال انهُ لم يرجع اليه ابداً . فاذاً المراد بقول الانجيلي: لا تخرج من هناك . . . حتى توفي الخ الدلالة على ابدية ذلك السجن اعني جهنّم وعبثاً تبرهنون بتلك الآية عن المطهر . ثانياً ان لفظة فلس في كلام الانجيلي تشير الى آلام السيد المسيح كما شرح ذلك ديونوسيوس بن الصليبي مطران آمد في كتاب تفسير الانجيل ومثله المفريان شمعون الطوراني فاذن عبثاً تريدون بالفلس التعبير عن النقائص والهفوات وبقايا الخطايا التي تتطهر منها النفس في المطهر حسب ادعائكم

﴿والجواب ان يقال﴾ عن لفظة حتى: ان «حتى» لها معانٍ شتّى فاذا جاءت بمعنى واو عطفية دخلَ ما بعدها بحكم ما قبلها ودلّت اذ ذاك على عدم النهاية كما برهنتم بآية الانجيلي عن مريم الدائمة البكارة وبغراب نوح الذي لم يرجع حتى ولا بعد يبوسة الارض . ثم ان «حتى» تأتي بمعنى انتهاء الغاية وحينئذٍ لا يصلح ما بعدها ان يدخل بما قبلها كقول الرب هنا فليست «حتى» بمعنى التعليلية او العطفية كما اعترض المعترض وهذا امر واضح ان النفس لا تخرج من حبس المطهر حتى توفي او الى ان توفي ما عليها للعدل الالهي . ونجيب على (الثاني) ناكرين تفسير المعترض لكلام الانجيلي بان الفلس يراد به الرمز عن آلام المسيح لان نصوص الكتاب المقدس يقتضي ان تُفسَّر حسب تواقيمها حرفياً بشرط الّا تخالف الاعتقاد او تضاد احدى قضايا الايمان . ثانياً يقتضي ان يكون مناسبة بين الالفاظ المستعارة والموضوع المقول عنه . والحال ان معنى الفلس

يراد به نقائص الانسان وهفواته ولا يوجد تنافر في هذا الشرح من حيث توقيع آية الانجيلي بل بعكس ذلك توجد مناسبة كبرى بين المستعار والموضوع فالاعتراض اذن باطل . وننكر ايضاً نسبة المعترض لابن الصليبي وللدفريان شمعون الطوراني شرح الفلس بمعنى آلام المسيح لان المذكورين قد شرحا هذه اللفظة بمعنى النقائص والعثار . فهل يا ترى من الممكن ان المشار اليهما يعتبران دم المسيح من جملة النقائص والعثار على فرض صحة ادعاء المعترض . فضلاً عن انهُ لا يوجد وجه مطلقاً للمشابهة بين الفلس ودم المسيح فاذًا عبثاً ادَّعى المعترض بما ادَّعى

﴿اعتراض رابع﴾ وربَّ معترض يقول ايضاً ان لفظة شيول (ܫܐܘܠ) معناها الجحيم فقط ويؤيد ذلك قول يعقوب ابي الاسباط « ولا تنحدر شيخوختي الى الجحيم » فاذًا عبثاً تريدون بها محلَّ المطهر

﴿والجواب ان يقال﴾ ان لفظة شيول (ܫܐܘܠ) لغةٌ تدلُّ بوجه عامّ على عمق في الارض وبوجه خاصّ تدل على خمسة مواضع في قلب الارض ولا ينكر ذلك من كان لهُ المام بمعرفة اللغة السريانية . (اولاً) تدل على جهنَّم الهالكين يثبت ذلك بالآية الواردة في الانجيل الطاهر عن موت الغنيّ الهالك اذ قال عنهُ انهُ «قُبر بجهنم» ففي السريانيَّة «قُبر بشيول» (ܘܐܫܬܕܪ ܒܫܐܘܠ) . (ثانياً) على حبس الاطفال الذين يموتون بدون عماد وهو معروف . (ثالثاً) على المحل الذي ندعوه مطهراً يثبتهُ قول القديس افرام: « مبارك مطر الحياة الذي نزل ورشَّ الانبعاث على المضجعين في شيول» اي المطهر . (رابعاً) على اليسبوس حيث كان الآباء والانبياء محبوسين قبل مجيء المسيح . (خامساً) تأتي بمعنى القبر كما ورد في البيت الذي ترتلهُ كنيستنا في مساء السبت وهذا تعريبهُ : « كما انَّ المطر لا يترك زرعاً في الارض الَّا وينتبه كذلك المسيح لا يترك ميتاً في القبر الَّا وسيبعثهُ »

فبعد ان اوضحنا لكم بالكفاية عقيدة المطهر الذي فيه تتطهر النفس من خطاياها العرضية وقصاصاتها الزمنية وفنَّدنا جميع الاعتراضات التي تَردُ علينا من المراطقة نناشدكم الله من ثم يا ايها الابناء المحبوبون منا بيسوع المسيح بان تتمسكوا بهذه العقيدة وتؤمنوا بها لان الاقرار بها من باب ضرورة الواسطة للخلاص ونحثُّ غيرتكم لأن تطالعوا بامعان رسالتنا هذه وتتأملوا بجميع ما اوردناه بروح التواضع لا بروح

المجرفة بروح الدعة لا بروح الانتقام حتى اذا ما عملتم بمشورتنا الابوية تستجلبون عليكم البركات السماوية وتنالون رضانا. وعليه اننا في الختام نهديكم كبارًا وصغارًا بركتنا الرسولية. ولتشملكم ايضاً بركة الربّ المتعال وتحلّ على جميعكم باسم الآب والابن والروح القدس آمين

ابن تيميَّة والوهَّابيُّون

نظر تاريخي مذهبيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ خلة جلالة ملك نجد عبد العزيز بن السعود على الحجاز ودخوله الطائف ثم مكَّة لمَّا ألفت نظر العالم الى الوهّابيين وتعاليمهم التي توافق في امور كثيرة آراء القاضي احمد بن تيميَّة فرغب الينا بعض القرَّاء ان نكتب لهم فصلًا في هذا الامام الشهير وانتماء الوهّابيين اليه. واذ قد سبق لنا مقال واسع في الوهابيين واصلهم وتاريخهم ومذهبهم (في المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٣٣—٣٥ و ١٠٧—١١٧ و ١٧٨ — ١٨٢) نحيل القرَّاء الى مراجعته ونكتفي هنا بذكر ابي تيميَّة واخباره وآرائه الخاصَّة

جاء في تاريخ ابن الوردي (٢ : ٢٨٤) في تاريخ سنة ٧٢٨ ما نصُّهُ بحروفه :

« وفيها في ليلة الاثنين والعشرين من ذي القعدة (ايلول ١٣٢٨ م) توفّي شيخ الاسلام تقي الدين ابو العبَّاس احمد ابن المفتي شهاب الدين عبدالحليم ابن شيخ الاسلام مجدالدين ابن البركات عبد السلام بن عبد الله ؛ ويروى ابن ابي عبد الله محمَّد) بن ابي القاسم ابن تيميَّة الحرَّاني الحنبليّ ممثَّلًا بقلعة دمشق وغُسِّل وكُفِّن وأُخرج وصلَّى عليه اوَّلًا بالقلعة الشيخ محمَّد بن تمام ثم بجامع دمشق بعد الظهر وأُخرج من باب الفرج واشتدَّ الزحام في سوق الخيل وتقدَّم عليه في الصلاة هناك اخوه والقى الناس عليهم مناديلهم وعمائمهم للتبرُّك وتراصَّ الناس تحت نعشه وحُزرت النساء بخمسة عشر الفًا والرجال قيل كانوا مائتي الف وكثر البكاء عليه وخُتمت لهُ عدَّة ختم وتردَّد الناس الى زيارة قبره ايَّامًا ورؤيت لهُ منامات صالحة ورثاهُ جماعة »

فيشعر هذا الكلام بخطب جسيم وينعي بوفاة رجل عظيم فمن هو يا ترى هذا